Bilad Alrafidain Journal of Humanities and Social Science /special issue **ISSN: 2788-6026**
Doi: 10.54720/bajhss/2023.icbauc21 **Pages: 269-277**

زواج القاصرات بين يهود العراق في الرواية العبرية المعاصرة رواية " فرايم. فرايم " لشالوم درويش نموذجا

م. عفتان مهاوش شرقي سلامة[١]، أ. م. د. عذاب حميد ذيب [٢]
[١،٢]كلية التربية القائم، جامعة الانبار، الانبار، ٣١٠٠١، العراق
athab.hamed@uoanbar.edu.iq،abonoor75@uoanbar.edu.iq

الملخص

يتناول البحث إشكالية زواج الفتاة اليهودية القاصر من رجل مسن، وذلك من خلال رواية " فرايم.. فرايم " للأديب الإسرائيلي شالوم درويش، العراقي الأصل. يهدف البحث التعرف على الكيفية التي عبر بها الأديب لمفهوم زواج القاصرات عند اليهود، وتنقسم الدراسة إلى تمهيد وثلاثة مباحث. يتناول التمهيد التعريف بالكاتب وملخص أحداث الرواية، ويتناول المبحث الأول دوافع الأسرة من تزويج ابنتهم الصغيرة من رجل كبير السن. أما المبحث الثاني، فيتناول دوافع أسرة العريس للزواج من فتاة صغيرة السن، ويأتي المبحث الثالث ليعرض موقف الشريعة اليهودية من زواج الفتاة الصغيرة، والأثر النفسي على الفتاة الصغيرة بسبب هذا الزواج.

الكلمات المفتاحية: شالوم درويش، زواج القاصرات، يهود العراق، فرايم فرايم.

Underage Marriage among the Jews of Iraq in the Contemporary Hebrew Novel "Fraim. Fraim" by Shalom Darwish as a Model

Lect. Aftan Mhawesh Sharqi Salamh[١], Asst. Prof. Dr. Athab Hamid Deeb [2]
[1,2]College of Education، Al-Qaim Anbar University, Al Anbar, 31001, Iraq.
athab.hamed@uoanbar.edu.iq،abonoor75@uoanbar.edu.iq

Abstract

The research deals with the problem of the marriage of a minor Jewish girl to an old man، through the novel "Fraim...Fraim" by the Israeli writer Shalom Darwish، who is of Iraqi origin. The research aims to identify how the writer expressed the concept of marriage of minors among the Jews. The study is divided into an introduction and three topics. The introduction introduces the writer and summarizes the events of the novel. The first section deals with the family's motives for marrying off their young daughter to an older man. The second topic deals with the groom's family's motives for marrying their son to a young girl. The third topic presents the position of the Jewish law on the marriage of the young girl، and the psychological impact on the young girl because of this marriage.

Keywords: Shalom Darwish، Underage Marriage، Iraqi Jews، Frime Frime.

المقدمة

الأدب هو نوع من أنواع التعبير الراقي عن المشاعر الإنسانية التي تجول بخاطر الكاتب وأفكاره، واقعه وأحلامه المستقبلية، حيث إن الأدب يعد أهم من الوثائق التاريخية، لأنه يشير إلى الحضارة الفكرية واللغوية لإقامة الأمم، وهو انعكاس لثقافاتها ومجتمعها. قد كان للأدب دائماً وظيفة يقوم بها أو فوائد ترتجي من ورائه، وهذه الوظيفة من المستحيل أن تكون ذات طابع فردي خالص، ومن ثم يمكن القول إن غالبية المشكلات والمسائل التي تثيرها الدراسات الأدبية تعد مشكلات ومسائل اجتماعية مثل المشكلات المتعلقة بالتقاليد الأدبية والرموز والأساطير. لذا، ولكل هذه الاعتبارات نشأ فرع خاص من فروع علم الاجتماع، وهو علم الاجتماع الأدبي [١]، والذي يهدف إلى دراسة الأدب كظاهرة اجتماعية مستعيناً في ذلك بالمناهج والأدوات السائدة في علم الإجماع [3] ، وقد رأيت أن أطرق باباً جديداً للبحث، ليس من المعتاد البحث فيه في مجال الدراسات العبرية، حيث ارتبطت معظم الدراسات النقدية للأعمال العبرية في الأدب العبري الحديث والمعاصر بمجريات الصراع العربي الإسرائيلي وملابساته وانعكاساته، وهو مجال التحليل الاجتماعي للأدب، والذي يمكن من خلاله رصد الواقع الاجتماعي الذي يعكسه أحد الأعمال الأدبية العبرية لأحد الأدباء الإسرائيليين، من ذوي الأصل العراقي، وهو الأديب شالوم درويش، ومن هنا تأتي أهمية البحث.

إشكالية البحث

تعتبر مسألة زواج الفتاة القاصر في مجتمع يهود العراق، إحدى القضايا التي طرحها الأدب العبري ممثلا في الكاتب " شالوم درويش " في تناوله لإحدى قضايا المرأة العراقية اليهودية في روايته "فرايم .. فرايم" [2] ، وهي موضوع هذا البحث. إن تركيز الأديب الإسرائيلي، ذي الأصل العربي بصفة عامة والعراقي بصفة خاصة، على قضية زواج القاصرات في العراق، اليهوديات منهن أو العربيات، دفعنا إلى التساؤل: لماذا هذا الاهتمام؟ وهل لدى الأديب دافع شخصي؟ هل لديه دافع اجتماعي؟ هل لديه دافع سياسي؟ هل لديه دوافع مادية؟ وهل هي دوافع إيجابية أم سلبية؟

كانت مثل هذه التساؤلات من المحركات وراء دراسة هذه الرواية التي بين أيدينا، لعل البحث يجيب على تلك التساؤلات، فنستطيع فهم الأديب الإسرائيلي حين يكتب عن قضية أو إشكالية اجتماعية في مجتمع– الطائفة اليهودية في العراق– تفكك وانتقال إلى بيئة جديدة، كانت هي الأجدر بالاهتمام والتناول. تحاول هذه الدراسة الإجابة على تلك التساؤلات، لعلها تساعد في كشف بعض الحقائق عن تلك الظاهرة الاجتماعية المهمة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى ما يلي: -

- توضيح رؤية الأديب للظروف الاجتماعية المحيطة بالجالية اليهودية خلال النصف الأول من القرن العشرين.
- محاولة التعرف على الكيفية التي عبر بها الأديب لمفهوم زواج القاصرات عند اليهود.
- الوقوف على مدى موضوعية الكاتب في تقديم وجهة نظره في واقع اليهود في العراق بشأن زواج القاصرات عند اليهود.

منهج البحث:

تقوم هذه الدراسة على منهج التحليل الاجتماعي لنموذج في الرواية العبرية المعاصرة كُتبت خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين. ويمكن تحديد الإطار العام بمنهج التحليل الاجتماعي للأدب، في دراسة ثلاثة عناصر رئيسة من منظور علم الاجتماع الأدبي وهي:

المؤلف: تتم دراسة حياة المؤلف بالتركيز على دراسة الوضع الاقتصادي والمهني للمؤلف، والطبيعة الاجتماعية التي ينتمي إليها وفكرة الجيل الأدبي الذي يصنف الأديب ضمنهم.

العمل الأدبي: ويمكن دراسته من منظور علم الاجتماع الأدبي من خلال الدراسة الاجتماعية للموضوعات والشخصيات.

الجمهور: تتم دراسة الجمهور اجتماعياً من خلال طبيعته ومدى الاتصال بين الجمهور والأديب.

ولتحقيق أهداف البحث تم تقسيم الخطة إلى تمهيد وثلاثة مباحث. يتناول التمهيد التعريف بالأديب وملخص أحداث الرواية، ويتناول المبحث الأول دوافع الأسرة لتزويج ابنتهم الصغيرة من رجل كبير السن. وأما المبحث الثاني يتناول دوافع أسرة العريس للزواج من فتاة صغيرة. والمبحث الثالث يتناول موقف الشريعة اليهودية من زواج الفتاة الصغيرة وما يترتب على ذلك من آثار نفسية عليها.

تمهيد:

أولا: التعريف بالكاتب: يمثل التعريف بكاتب أي عمل أدبي أحد العناصر المهمة في فهم النص. إذ يمثل النص الأدبي صاحبه ويدل على توجهه الفكري والعقائدي والاجتماعي والسياسي وغير ذلك. ولا يستطيع أي ناقد أدبي أو دارس للأدب أن يتناول عملا أدبيا ما بالنقد أو بالدراسة دون أن يلتفت إلى كاتبه، لذلك نجد أن بعض الأعمال الأدبية تُفتتح بإشارة إلى كاتب العمل.

كاتب العمل الذي بين أيدينا هو " شالوم درويش "، وقد ضمَّن روايته مقدمة بقلم الأديب "سامي ميخائيل" ذي الأصل العراقي أيضاً. تناول "ميخائيل" في مقدمته للرواية الحديث عن الكاتب، مولده ونشأته في العراق ونشاطه الاجتماعي والسياسي في مرحلة الشباب، ثم تطرق إلى الحديث عن الأسلوب الأدبي للكاتب.

ولد" شالوم درويش " في بغداد بالعراق عام ١٩١٣م. شغل وظيفة سكرتير الطائفة اليهودية في بغداد وهو في السابعة عشرة من عمره. وأكمل دراسته الجامعية في كلية الحقوق، أثناء عمله هذا، وتخرج عام ١٩٣٧م. ثم عمل كمحامٍ مستقل منذ عام ١٩٤٥م إلى أن هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥٠م [٤].

وحول عمل" شالوم درويش " ونشاطه السياسي والأدبي، فقد حظي بالعمل كمحامٍ مستقل ومارس نشاطاً ثقافياً وسياسياً في ظل وضع اجتماعي وسياسي للطائفة اليهودية في العراق يمكن أن يوصف بأنه وضع جيد. إذ اعتبرت الطائفة اليهودية العراقية نفسها جزءًا متمماً للشعب العراقي استناداً إلى قدم وجودها في هذه البلاد وإلى ضخامة عددها. وكان للطائفة اليهودية العراقية مؤسساتها الخيرية الخاصة التي تقدم لأفرادها الخدمات الاجتماعية والتعليمية. كما كان للطائفة مجلس يُنتخب أعضاؤه من بين أفراد الطائفة مرة كل أربع سنوات، ثم أصبح كل سنتين فيما بعد. لقد كانت أحوال اليهود مزدهرة في العراق، ولم يكن ثمة تمييز عنصري ضدهم، وكانوا متواجدين في كل مكان: في البرلمان وفي وظائف الوزارات وفي الجيش، ولم تكن هناك قيود على حريتهم وأعمالهم[٥]. لقد عاش اليهود كسكان اصليين وليس كرعايا دولة اجنبية، يتحدثون العربية، كما تحدثوا الكردية [٦]، وقد بلغ تعدادهم من عام ١٩١٧حتى عام ١٩٤٧ اي قبل عام من اعلان دولة اسرائيل ٧٧٥٢٧الف نسمة[٧]، ان هذه المميزات جعلت من اليهود حينها نسيجا من لحمة المجتمع العراقي في جميع العادات والتقليد، غير ان الامور تحولت سياسيا نحو منعطف سلخ هذه الطائفة من مجتمعها، الذي الفته ولسنين طويلة. ومما لا شك فيه فإن تلك الحياة المستقرة وجدت خير من يعبر عنها من خلال الادباء الذين عاشوا تلك الحياة او وصلت إليهم فكتبوا العديد من الاعمال الادبية ومن هذه الاعمال الذي يوافق موضوع بحثنا رواية قبق البغدادي للأديب الاسرائيلي دافيد رابي [٨] التي تتناول عادات الزواج والتقاليد العامة التي يعيشها المجتمع آنذاك، مقابل نقد المجتمع وغطرسة اليهود الغربين(الاشكنازيم) والفساد الذي يطغى على المؤسسات بصورة عامة.

كان " شالوم درويش " ملماً بالقضايا العامة ومشاركاً في الحياة الاجتماعية والثقافية العامة في العراق. فقد عمل في بداية حياته العملية سكرتيراً للطائفة ثم محامياً مستقلاً بعد تخرجه في الجامعة، فكان لنجاحه في عمله إثر كبير اتاح له فرصة التواصل مع طبقات المجتمع العراقي المختلفة. كما عمل صحفياً في جريدة "الحصاد" العراقية حيث كان له فيها عمود ثابت في تلك الجريدة التي ظهرت ما بين عامي ١٩٢٩م و١٩٣٨م [١٥].

باللغة العربية والتي كان صاحبها ومحررها الشاعر والأديب اليهودي العراقي" أنور شاؤول ". وكان، مثل بعض اليهود الناشطين في الحياة العامة والأدبية والذين شغلوا وظائف مهمة في الحكومة العراقية، كان من المساندين المتحمسين لقضية المواطنة العراقية. وقد رأى كزملائه أن يهود العراق مواطنون مخلصون لدولتهم ولذلك فقد شارك في الحياة السياسية هناك وأصبح عضواً فعّالا في الحزب القومي الديمقراطي بزعامة السياسي الليبرالي العراقي "كامل الشاد رشتي"، وكان مرشحاً لتمثيل يهود العراق في البرلمان العراقي [١٥].

نشر "درويش" حوالي خمسين قصة صدرت في بغداد وفي القدس أيضاً، في ثلاث مجموعات هي: "الأحرار والعبيد " في بغداد عام ١٩٤١م، و" قليل من الناس " في بغداد أيضاً عام ١٩٤٨م، و"بيضة الديك" التي صدرت في القدس عام ١٩٧٦م. وقد نالت اسهاماته الأدبية النجاح والشهرة في عالم الثقافة العربية خارج حدود العراق من خلال مقال الباحث الدكتور "سهيل أدرس" حول القصة العراقية، والذي ظهر في الدورية الأدبية اللبنانية " الأدب" في المجلد (إبريل– مايو١٩٥٣)، أي بعد أن هاجر" درويش" من العراق إلى "إسرائيل".

وعن الأسلوب الأدبي لـ " درويش" يشير الكاتب "سامي ميخائيل" إلى أن لدى "شالوم درويش" أسلوبا واقعيا في الموضوع والبناء، فهو لا ينفصل عن الماضي، حيث يختار الحياة الواقعية للماضي ويتناولها بالنقد القوي وبالسخرية الدقيقة. إنه من خلال إسهاماته يمثل أجراسا مبشرة بالمستقبل، لذلك جاء هجومه على التقاليد الجامدة صاعقا وصعبا [٤].

والعمل الروائي الذي بين أيدينا هو أول الأعمال الروائية للكاتب " شالوم درويش " التي ألفها باللغة العبرية، حيث الانتقال من الكتابة باللغة العربية في "العراق" إلى الكتابة باللغة العبرية في" إسرائيل". وعنوان الرواية هو " פריים! פריים " " فرايم ! فرايم "، وهو اسم مختصر كان يهود العراق يستخدمونه للاسم الكامل " אפריים: أفرايم". وربما استخدمه الكاتب بهذه الطريقة تذكيراً للقارئ الإسرائيلي ذي الأصول العراقية بالماضي المشترك وكذلك ربما تعبيراً عن هويته الشرقية في مواجهة الهوية الغربية في إسرائيل. والاسم هو للطفل الذي نتج عن ذلك الزواج، الذي أُجبرت عليه فتاة من الطائفة اليهودية في العراق والبالغة من العمر الثانية عشرة، من رجل يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره.

ثانيا: ملخص أحداث الرواية: يصور الكاتب في هذه الرواية مجتمع الطائفة اليهودية في الحي اليهودي بالعراق، ويُبرز فيها حياة الأسرة العراقية اليهودية ومشكلاتها، التي منها زواج الفتاة الصغيرة القاصر من رجل كبير ثري في الخامسة والثلاثين.

يسرد الكاتب أحداث الرواية من خلال مونولوج طويل على لسان بطلة الرواية" دوريس" منذ أن كانت فتاة صغيرة في الحيدر حتى صارت شابة وأم للطفلين "منشة" و " فرايم ". ويقسم الكاتب روايته إلى قسمين كبيرين، القسم الأول بعنوان:" طفولة ילדות " ومكون من (٢٤) جزءا فرعيا، ثم القسم الثاني وهو بعنوان:" زفاف חתונה " وهو مكون من (٢٨) جزءا فرعيا صغيرا.

يدور القسم الأول حول حياة "دوريس" في طفولتها الأولى وحتى يوم زفافها، تتحدث "دوريس" في ذلك المونولوج الداخلي *عن مرحلة "الحيدر، حيث كانت في الخامسة من عمرها تذهب إلى الحيدر برفقة صاحب لها هو "دافيد" الذي كان يكبرها* بسنتين، وكانا متحابين ومنسجمين، ويلعبان سويا في الحي اليهودي حيث يقيمان هناك. وتنتمي دوريس لأسرة يهودية فقيرة كبيرة العدد تتكون من الأب والأم والعمة وثلاث أخوات هن: "رفقا "و "مازل" و"طوفا "[٩]. تتحدث دوريس عن أختها "رفقا" التي تكبرها بسبع سنوات، فهي في السادسة عشرة من عمرها وكانت تحب زميلا لها في المدرسة اسمه " يوسف". يتم البحث عن عريس لـ "رفقا" ويكون ذلك عن طريق الخاطبة " أم ساسون" والتي تعرض على الأسرة صورا لعرسان عديدين وتبشرهم بأنهم أغنياء ومن يكون صاحب النصيب سوف يسعد العروس ويغطيها بالذهب ويفرش سريرها بالحرير وريش النعام. يُحدد يوماً لرؤية العروس فيرسل العريس مجموعة من نساء أهل بيته وأقاربه لرؤيتها وفحصها وهذا ما يعرف باليهودية باسم الخطبة (השדוכין) [١٠]، والخطبة في اليهودية هي الوعد المستقبلي الذي يقطعه الرجل والمرأة لبعضهما البعض، أو من قبل والديهما أو وكيليهما، وتعتبر الشريعة اليهودية ان اول وساطة للزواج كانت في وساطة الرب في زواج ادم من حواء [١١] يطلب من العروس أن تسير أمامهن وتدور لفحص هيئتها وتفاصيل جسدها ثم يقمن بإبلاغ العريس بنتيجة فحص الهيئة.

لكن تتفاجأ أسرة العروس بأن ابنتهم المرشحة للزواج ترفض الزواج، فيثور الأب ويقرر أن يحرمها من الذهاب إلى المدرسة ويخبرها أنها مجبرة على قبول الزواج من الزوج الذي تختاره أسرتها وليس لها حق الاعتراض، رغم ان الشريعة اليهودية لا يحق فيها للأهل إجبار أولادهم على الزواج، كما لا يجوز منع الزواج بسبب اعتراض الأهل، ومع ذلك فإن التقاليد اليهودية تتجنب الزواج دون اقتراح الأهل، إلا أن الأولاد غالباً ما يتزوجون دون تدخل من الأهل [١١]، لذلك تصر رفقا على الرفض وتهدد بالانتحار، تتدخل عمتها " دينا " وتحاول إقناع رفقا على الزواج ولكنها تصر على الرفض. ثم تجد العمة دينا الحل في أن تحل "دوريس" اختها، والتي تبلغ من العمر تسع سنوات، محل رفقا وتكون هي العروس. لكن الأم " أم رحمين" تتفاجأ بما فعلته العمة وتغضب بشدة، ولكن العمة تقنعها فتوافق الأم في نهاية الأمر على شرط أن ينتظر العريس حتى بلوغ الفتاة. يتم الاتفاق مع العريس وأهله على ألا يتم الزفاف إلا بعد عام أو أثنين لحين بلوغ الفتاة. ويقبل العريس الشرط وتتم مراسم الخطبة.

تمر "دوريس" بحالة نفسية نتيجة الضغوط الأسرية من الأقرباء وأهل العريس نظراً لترقبهم لوقت بلوغ الفتاة الصغيرة من أجل إتمام الزواج. كما ساور القلق أسرتها، خاصة أمها التي خشيت عليها من فارق السن والجسم بينها وبين عريسها ضخم الجسد والبالغ من العمر ٣٥ سنة.

تشعر الحماة (أم العريس) بالندم والذنب لأنها وافقت على أن تخطب دوريس الطفلة الصغيرة لابنها ... يقرر والدا دوريس بأن يتم الزفاف بعد أن تكمل الفتاة الثالثة عشرة من عمرها. وتمر دوريس بوعكة صحية وتُعرض على الطبيب الذي يطمئن الأسرة على

صحتها وأنها تعاني من اضطراب نفسي ويجب أن تغير الجو وتذهب إلى الريف لفترة من الوقت. يعتقد الأب أن أبنته قد جُنت، فيلجأ هو والأسرة إلى حاخام يهودي درويش لعلاج الفتاة، فيكتب لها ورقة (كميع: קמיע) (مثل الحجاب)، ويجتهد الدرويش اليهودي لعلاج الفتاة.

يتم تحديد يوم الزفاف والدخلة بالعروس. ويشتد قلق دوريس بسبب ليلة الزفاف وما سيحدث لها فيها، لكن العمة (دينا) تطمئن الفتاة بأنها ستخبرها بكل شيء في وقته المناسب. وتعرض أم ساسون الخاطبة على (يهودا) العريس بأن يقتصر الحفل على الأقارب والأصدقاء المقربين لكنه يرفض ذلك. تقام حفلة الحنة في بيت العروس، فتقوم العائلة بأعداد وليمة من اللحوم والطيور وأنواع الطعام والشراب. ثم تذهب الأم (أم رحمين) لشراء الحنة، ويتم تجهيزها في شكل كرات توضع في يد العروس[١١]. كما يتم حياكة فستان وردي للعروس لمناسبة ليلة الحنة، ويتم تزيين العروس بالزهور والورود في شعرها... ويتم إجلاس العروس على فخذي العريس (نظرا لصغر سنها وحجمها) لكنها بعد برهة تترك العريس وتهرب إلى غرفتها وتلحق عمتها (دينا) بها لترقد بجوارها في سريرها لتشعرها بالطمأنينة من جزعها من هول الموقف عليها.

ثم يحين يوم طقس عقد القران والحفل في المعبد اليهودي، وينتشر الخبر في المدينة فيتجمع جمع غفير من يهود المدينة عند المعبد ليشاهدوا الرجل الثري كبير السن الذي سيتزوج من طفلة، ويعترض الناس ويوجهوا سبابهم ولومهم وتوبيخهم إلى والد العروس الذي ظلم الفتاة بالسماح بزواجها وهي طفلة لرجل كبير السن، وقد تطور الأمر إلى قيام أحد الأشخاص بمحاولة ضرب العريس.

تضطرب (دوريس) العروس من أحداث ليلة الزفاف وأحداث المعبد ثم العودة إلى قصر العريس وتخاف بشدة من قرب حدوث ما قيل لها عن ليلة الدخلة، فتهرب من قصر العريس منطلقة إلى الشارع ويتم إعادة دوريس إلى عريسها ويتم الزواج. وتنتقل الحكاية إلى تجربة أخرى من تجارب "دوريس " الفتاة التي تزوجت رجلاً أكبر منها ب ٢٣ سنة. وتبدو هذه الحالة من الحالات المنتشرة في المجتمع اليهودي المتدين والمحافظ والمتأثر بالمجتمع العربي الذي كانوا يعيشون فيه "כבן שלושים היה מישל בשאתו לאשה את לינדה" [١٢] "كان عمر ميشيل ثلاثين سنة عندما تزوج ليندا". ودليل صغر عمرها عن زوجها: "כשנישאה לאיש היו שנותיה כמחצית שנותיו"

"عندما تزوجت كانت سنوها نصف سنيه". إنها تجربة الحياة الزوجية والحمل والإنجاب. حيث تحمل بعد فترة وجيزة من الزواج وتعاني من مشكلات الحمل للمرة الأولى...ثم تضع مولودها الأول يأتي غير مشابه لأبيه (الأمهق). ثم تحمل مرة ثانية لتلد أبنا يشبه أبيه الأمهق فيفرح به أبوه وجدته.

وسوف نحاول أن نكشف فيما يلي عن دوافع الأسرة من زواج طفلة قاصر دون سن الزواج من رجل كبير في السن. هذا ما سنتناوله المبحث الأول

<u>المبحث الأول</u>: دوافع الأسرة في تزويج ابنتهم الصغيرة من رجل كبير السن:

نظراً لأن الأدب ينبع من المجتمع [١٣] ،وأنه بمثابة صورة حية له، ولأن الأديب هو الشخص الذي يمتلك القدرة على ربط الماضي بالحاضر وكشفه والسير في أغوار مشكلات مجتمعه والمشاركة في إيجاد حلول لها والسعي إلى مستقبل أفضل، فقد جاء هذا البحث في محاولة لرؤية مدى تحقيق ذلك. فحكاية الرواية تدور حول زواج دوريس الفتاة العروس الصغيرة، من رجل يهودي ثري يكبرها بحوالي خمس وعشرين عاما، ويعرض الأديب مدى استياء الناس من وراء ذلك، فيقول على لسان العروس الصغيرة: " ... ביום שנקבע לחופה ... נפוצה השמועה שהעשיר בעשירים מתחתן, והכלה היא ילדה שעוד לא הגיעה לפרקה ... אנשיו של יהודה גוננו עלי כשפילסו לי דרך בתוך הקהל המשתומם. זו היא הכלה ، ראו ، הרי זו תינוקת ! בוכה קטנה שכזו ! מסכנה ! הוא קנה אותה . פושעים ! פושעים !איך הסכים אביה ،איך ?

في اليوم الذي تحدد فيه طقوس منصة الزواج انتشر الخبر بأن غني من الأغنياء سيتزوج وأن العروس هي طفلة لم تبلغ سن النضج بعد. أحاط بي رجال يهودا لكي يمهدوا لي طريقاً وسط الجمهور الضجر.

-هذه هي العروس. انظروا، إنها طفلة! صغيرة كأنها دمية! مسكينة!

-اشتراها.

-آثمين! آثمين! كيف وافق أبوها، كيف؟!

ويعرض الكاتب لبعض الدوافع التي دفعت أسرة العروس " دوريس" إلى الموافقة على تزويج ابنتهم الصغيرة، التي ما تزال في حكم الطفولة، من رجل يكبرها بفارق سن كبير. وفيما يلي نعرض لبعض هذه الدوافع الواردة في الرواية كما يلي:

- دوافع اجتماعية: -يمثل "العدد الكبير" من البنات في هذه الأسرة اليهودية الفقيرة أحد المشكلات التي تواجه عائل الأسرة فيها ... حيث نجد ذلك في الفقرة التالية من الرواية:" אחיות רבות היו לי. מסיבה זו לא יכלו הורי להיות בררנים באשר לבחירת חתנים לבנותיהם. משהוצע חתן ، קיבלה אותו המשפחה מיד، ובלי לבדוק יתר על המידה בציציותיו ، ובלבד שתשתחרר מעולה של עוד בת לא נשואה [٤]: كان لدي أخوات كثيرات . لهذا السبب لم يكن والداي يدققان في اختيار العرسان لبناتهما. وبمجرد أن يتقدم عريس ما قبلته الأسرة على الفور دون التدقيق كثيراً في مقدار مجموعة الخيوط التي في زوايا ثوبه الأربع وبصفة خاصة أنهم سيتخلصون من عبء فتاة أخرى غير متزوجة. والجدير بالذكر ان في هذه الفقرة اشارة لأمر ديني مهم، فالثوب وزواياه الاربع تشير الى الطاليت [٨]، الذي ان يرتديه المتدينون في صلاتهم بمعنى ان الاهل في هذا الجانب قد تغاضوا عن التدقيق في الجانب الديني في سبيل امور اجتماعية ولا يهم عندهم أكان الزوج ملتزما ام غير ملتزم، وهذا هو شأن الاعراف الاجتماعية في اغلب المجتمعات. كثرة عدد البنات لدى الوالد "أبو رحمين " إذن كان دافعاً اجتماعياً مهماً للمسارعة في التخلص من عبء بناته بتزويجهن إلى أقرب راغب في الزواج بإحداهن. ويمثل ذلك سمة من سمات المجتمعات الشرقية عموما، حيث الأب هو العائل لأفراد أسرته والمتكفل بالنفقة عليهم [١١] وهناك عامل اجتماعي اخر يفضله اغلب الرجال في المجتمعات الشرقية وهو ان الفتاة الصغيرة سيتم تربيتها بسهولة على طاعة زوجها وتنفيذ اوامره مهما كانت قاسية او صارمة "היתה תנועת אצבע ובוהן שלו מרמזת לה להביא לו כוס מים، ותנועת קלה של ראשו כלפי מעלה האיצה אותה אל חיבת התרופות למצוא לו גלולה" [١٢].
"وكانت حركة الإصبع والإبهام لميشيل تشير إلى أنه في حاجة إلى كوب الماء، حركة خفيفة برأسه إلى الأعلى، تستعجلها إلى صندوق الأدوية لتجد له قرصا".

- دوافع مادية: التطلع إلى المال والثروة من خلال الاقتران بأسرة ثرية عن طريق تزويج الفتاة من رجل ثري مهما كان عمره، المهم أنه سيجعلها تعيش في قصر وتنام على الحرير. ولأن اليهود وعلى مر التاريخ اسيري المادة كانوا يحرصوا على التزاوج فيما بينهم يبتغون כבוד ויוקרה ומטעמי פרנסה וממון." [١٢]
" الجاه والعزة والمعيشة والثروة"، والنتيجة من وراء الزواج هي"אם כסף מתחתן בכסף – במוקדם או במאוחר נולד זהב [١٢].

- "إذا تزوج المال من المال فالمولود بدون شك سيكون ذهبا عاجلا أم آجلا ". وقد ورد في القصة:
היא יפהפיה! מגיע לה חתן עשיר שיכסה אותה ביהלומים ובאבני-חן טובות، וישכיב אותה על נוצות בת היענה . הוא חייב יהיה לרפד אותה בזהב ולמיטתה יעלה בסולם של כסף. זה מגיע לה . אום-ששון ! רק עשיר . רק עשיר שיקבל על עצמו הכל . אחיותיה רוששו אותנו. הגיע הזמן שנפסיק לתת. אין לנו וממה . אפילו בשביל ליל -" חינה " אין [١٢]: -ما أجملها! إنها تستحق عريساً ثرياً يمكنه أن يغطيها بالألماس والجواهر، ويجعلها أن تنام على فراش من ريش النعام يبطنه بالذهب ويصعدها إلى سريرها على سلم من فضة. فإنها تستحق. أم ساسون! إننا نريد فقط الرجل الثري. الرجل الثري الذي يتحمل كل شيء. فقد أفقرتنا شقيقاتها. وقد حان الوقت لأن نتوقف فيه عن العطاء. لا شيء لدينا حتى ولو لليلة الحنة، لا شيء

ويؤكد الكاتب هذا الفقر المادي في موضع آخر بإشارته إلى أن الأب لم يكن يستطيع حتى تحمل نفقات ليلة الحنة المكلف بها وهدية الزفاف التي تقدم على شرفه وشرف العريس، فيقول: " נותר לאבא לשאת בהכנת מתנת החתונה ("סובחיי") ... עול זה היה כבד ביותר בשביל אבא וכן תשלום

הוצאות ליל – חינה [١٢] بقي على أبي أن يتحمل إعداد هدية الزفاف (" الصبحية") ... كان هذا العبء ثقيلا جدا على أبي، وكذلك دفع نفقات ليلة الحنة "

المبحث الثاني: دوافع العريس للزواج من فتاة صغيرة:

إن زواج رجل من امرأة ثرية له ما يبرره، كذلك قبول المرأة الزواج من رجل ثري يجد له مبرراً لديها أيضاً. لكن ما هو المبرر الذي يدفع رجل ثري أن يتزوج طفلة صغيرة لم تظهر عليها بعد علامات الأنوثة التي يرغب فيها الرجل؟ كذلك فهي تنتمي إلى

أسرة فقيرة كثيرة العدد، بينما لديه هو الكثير من المال والقصر المشيد على نهر الفرات، وهو الذي يمكنه بهذا الجاه والمال أن يغري أي فتاة جميلة شابة لديها من الأنوثة والجمال؟ هل هناك دافع غير معلن لكي يتزوج ذلك الرجل الغني من طفلة؟

يتضح مما يذكره الكاتب من صفات شخصية العريس أن السبب أن هناك عيبا في تكوينه الجسماني والشكلي، ففي الفقرة التالية الواردة في الرواية نجد وصفا للعريس لدى حضوره إلى بيت العروس الصغيرة:

" בתוך ההמולה שהקימה אום-ששון، נכנס המיועד להיות הארוס שלי. יחד איתו נכנסו גברים רבים . לאחר-מכן ، נודע לי שהיואלה אחיו ודודיו . כמוהו היו כולם גברתנים בעלי גוף . לארוסי היה גוף מגושם . הוא נראה לי עצום. חשתי כאילו אני זבוב לעומתו. הוא היה לבקן، לכן הפריע לו האור שבקע מפנס הלוקס שהדלקנו בחדר האורחים. הוא מיצמץ בעיניו، וכשהתקדם כדי ללחוץ את ידו של אבא، הילך כמגשש באפלה . אחר-כך התקשה למצוא את דרכו לכורסה שהועידו לו [١٢]

" في أثناء الضجة التي أحدثتها أم ساسون ، دخل عريسي المرتقب . ودخل معه العديد من الرجال. تم إخباري بعد ذلك أن هؤلاء هم أخوته وأعمامه. كانوا كلهم جميعا مثله ضخام الأجساد. كان عريسي له جسد ضخم. وقد بدا لي عملاقا. شعرتُ كما لو أني ذبابة مقارنة به. كان أمهق، لذلك كان يزعجه الضوء المنبعث من الشمعدان الذي أوقدناه في غرفة الضيوف. كان يرمش بعينيه، وعندما تقدم ليصافح أبي كان يسير كأنه يتحسس في الظلام. ثم بعد ذلك كان من الصعب عليه أن يجد طريقه إلى الأريكة التي أُعدت له".

العريس يبدو من هذا الوصف الذي يرد على لسان العروس الصغيرة، شخص أمهق البشرة ضعيف البصر ضخم الجسد يتحرك ببطء. هو إذن شخص لا ترغبه النساء وليس فيه من الوسامة أو سمات الشباب أو الرجال. ببساطة يمكن القول إنه شخص دميم. وليس من السهل أن يجد فتاة شابة ناضجة ذات حسن وجمال تقبل الزواج والارتباط به. ويبدو أن أسرته؛ وخاصة أمه على قناعة بذلك. ولا سبيل له للزواج أن يختار هو أو أمه وعائلته فتاة صغيرة السن لا تدرك من أمور الزواج والارتباط شيئا، وتستطيع أم الزوج أن تربيها في بيتها على حب الزوج وأمه.

وبالنسبة لأم الزوج – ذلك العريس المسن – فلم يكن في اهتمامها فارق السن بين ابنها والعروس الصغيرة، ولكنها كانت تركز جل اهتمامها على ما ستنجبه العروس من أطفال لابنها يشبهون أباها، فقد ورد على لسان: " הגיע הזמן שתחשבי עלי، דוריס. את חייבת לפתוח את יהודה ולהתעבר ממנו פעם שניה . חמותי נשאה את עיניה למרום והוסיפה אישה כי הזריע זרע וילדה בן ." לכי אליו כשתבער התשוקה בעצמותייך . יהיה זה בן זכר שייקרא שמו בישרל " פריים " על שם אבי פריים ،מנוחתו עדן . אבי הירבה להופיע בחלומותי וביקשני חזור ובקש שאזמינו להתארח בביתי ...הפצרתי ביהודה שיוריד מעל הקיר מול עינייך את תמונתו של אביו מנשה [١٢].

لقد آن الأوان أن تعملين لي اعتبارا يا دوريس. يجب أن تغوي يهودا وتحملين منه مرة ثانية. رفعت حماتي عينيها لأعلى وأضافت قائلة " المرأة هي لاستقبال بذور النسل وولادة أبناء " اذهبي إليه عندما يشتعل الشوق في عظامك. فليكن هذا ابنا ذكرا ويدعى اسمه بين اليهود " افرايم" على اسم أبي افرايم، مثواه الجنة. لقد زاد ظهور أبي في أحلامي وطالبني مرارا وطلب أن أدعوه ضيفا في بيتي... ألححت على يهودا أن ينزل صورة أبيه مننشي من فوق الحائط من أمام عينيك ويعلق مكانها صورة جده، صورة أبي إفرايم

المبحث الثالث: موقف الشريعة اليهودية من زواج الفتاة الصغيرة، وما يترتب على ذلك من آثار نفسية عليها:

يبدو أن الدين اليهودي لم يعارض في زواج فتاة صغيرة السن، إذ حددت الشريعة اليهودية سن زواج الفتاة اليهودية بأثنتي عشرة سنة وستة أشهر [١٣] وتعرض الرواية سلوك أسرتي العروس وكذلك أسرة العريس وأيضاً سلوك الحاخام الذي سيقوم بإتمام إجراءات كتابة عقد الزواج. ففي سياق الرواية نجد أن العروس الصغيرة "دوريس " لم تكن هي التي رشحتها أسرته للزواج من العريس الذي أحضرته " أم ساسون " الخاطبة، إذ كانت أختها الأكبر " رفقه"

البالغة من العمر ست عشرة سنة هي المرشحة، لكنها رفضت رفضا باتاً، مما اوقع الأسرة في مشكلة كبيرة، الأمر الذي دفع العمة " دينا " إلى أن تجد الحل في ترشيح " دوريس " التي مازالت في التاسعة من عمرها لتكون هي العروس المختارة. إذاً جاء زواج الفتاة الصغيرة " دوريس " حلاً لمشكلة ولم يكن اختيارها في هذا السن الصغيرة متعمداً.

أما أسرة العريس، ممثلة في أمه فقد كان سلوكها توافقياً. حيث تريد الأم أن يتم زواج ابنها بأي حال من أي فتاة، لا يهم كبيرة أم صغيرة فالمهم أن يتزوج الابن وينجب لها أحفادا لتسعد بهم، حيث لم تبد رفضاً تاما من زواج أبنها من فتاة صغيرة هكذا، بل وافقت على ارتباط ابنها بالفتاة الصغيرة، لكن لا يتم الزفاف إلا بعد البلوغ والحيض.

ويتمثل الدين هنا في حضور الحاخام شمعون لكي يتمم إجراءات الزواج [١٤]. حيث نجده فيما يلي: -בערב שנקבע לאירוסי، הופיע בביתנו גבר שזקנו ארוך. אמרו ששמו חכם שמעון، ושהוא עורך נישואין . הוא שלף מכיסו פנקס קטן ורשם על אודותי פרטים שסיפרו לו הורי . כל זמן שכתב، לא הסיר עינו ממני، כמי שאינו מאמין שילדה זו היא היא הכלה.

-בת כמה היא ?

-כמעט עשר .

-מה זה "כמעט" ?

- זאת אומרת בעוד חודשים אחדים. – גמגם אבא.

- אז תגיד בת תשע.אין דבר . אין הגבלה בגיל . מותר להשיא בכל גיל [٤].

" في الأمسية المحددة لخطوبتي، ظهر في بيتنا رجل طويل اللحية. قالوا إنه يدعى الحاخام شمعون، وهو الذي سيجري الزواج، أخرج من جيبه دفترا صغيرا وسجل فيه ما قصه له والدي عني. وظل ينظر إليٍ طوال الوقت الذي استغرقه في الكتابة، كأنه لا يصدق أن تلك الصبية هي العروس.

- كم عمرها؟

عشر تقريبا.
ماذا تعني تقريبا؟
تمتم أبي، أعني في غضون أشهر
اذن نقول عمرها تسع. لا بأس. لا قيود في العمر ".

ويشير الكاتب في الرواية إلى الأثر السيء لهذا الزواج على الفتاة العروس الصغيرة، فقد أورد على لسانها ما يلي: " כשנקבע תאריך לחופה، דמיתי לנידון למוות שקבעו את תאריך הוצאתו לחורג،

לא רק שחישבתי את הימים ، אלא מניתי את השעות"[١٢]

" عندما تم تحديد موعد الكوشة، تخيلت لو أنه حكم على بالموت وحددوا تاريخ تنفيذ الاعدام. لم أكن

أحسب بالأيام، وإنما كنت أحصي الساعات ".

وفي موضع آخر يشير أيضا على لسان الفتاة العروس الصغيرة بقوله:" אלוהים ישמור אותי מן

התעלולים הצפויים לי בערב נורא ואיום זה ، הערב האמור להיות ערב שמחתי ، איזו שמחה היא שמחתי ? " [١٤]

" فلينقذني الرب من المكائد التي تنتظرني في هذا المساء الرهيب المفزع ، هذا المساء الذي يجب يكون مساء فرحتي وسعادتي ، أي فرحة تلك التي أفرحها ؟ "

الخاتمة

يحسم هذا البحث سؤالا يتردد حول وظيفة الأدب، وإن كان يضطلع بمهمة مباشرة تتناول الواقع الاجتماعي والسياسي السائد في مجتمع ما، وولدت حول ذلك العديد من النظريات، بعضها ينادي بوظيفة إصلاحية مباشرة للأدب وبعضها على النقيض ينكر أي دور للأدب خارج دور النطاق الجمالي، ويرى من ينادون أن يكون للأدب وظيفة إصلاحية أن الأدب الواقعي بالذات من الممكن أن يسهم في إصلاح المجتمع. هذا هو ما

جاء في هذا البحث وأوضحه من خلال معالجة قضية زواج فتاة يهودية قاصر من رجل كبير في السن. وقد تبين من خلال البحث ان الزواج المبكر هو في الغالب سمة سائدة في المجتمع اليهودي ومقبولة به، ومن المؤكد ان هذا بفعل التأثر بالمجتمعات العربية التي كانوا يعيشون فيها قبل ذهابهم الى فلسطين العربية. وللزواج المبكر مبرراته وفي الغالب تكون ذات طابع اجتماعي وذلك للحرص على ان تنشأ الفتاة على راحة ورعاية زوجها من جانب ومن جانب اخر لتكون فرصة الانجاب اكبر واكثر اولادا وفي قصتنا هذه يبدو ان اضافة عامل الدماثة وعدم الوسامة سببا رائجا حيث ان القاصرات وفي هذا العمر لا توجد لديها صورة او تصورا كاملا عن معنى الزواج وبالتالي سترضخ للأمر الواقع، وتبين ان التغاضي عن الجانب الديني له مسوغه لو كانت هناك مصالح اجتماعية تتحقق من خلال هذا الزواج، فالجانب المادي له اثره من خلال الطمع بالوضع المادي الذي يحققه الزواج، وهذا الجانب متأصل في الشخصية اليهودية بصورة عامة.

يثبت هذا البحث أن الأدب ينبع من المجتمع، وأنه بمثابة صورة حية، وأن الأديب هو الشخص الذي يمتلك القدرة على كشف أغوار مشكلات مجتمعه، والمشاركة في إيجاد حلول لها والسعي لمستقبل أفضل.

المصادر والمراجع:

[١] محمد سعيد فرح ومصطفى خلف عبد الجواد، ٢٠١٢، علم اجتماع الأدب، دار المسرة للنشر والتوزيع، عمان.

[٢] السيد يس، ١٩٩٢، التحليل الاجتماعي للأدب مكتبة مدبولي، القاهرة.

[٣] ابراهيم حمادة، مقالات في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة.

[٤] درويش، شالوم، ١٩٨٦، افرايم، دار نشر بيت قدم للأدب، تل ابيب.

[٥] إدريس محمد جلاء، ٢٠٠٧، إسرائيليات. مقالات ودراسات، ط. أولى -مكتبة الآداب، القاهرة.

[٦] خيرية قاسمية،٢٠١٥م. يهود البلاد العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

[٧] عبد الكريم العلوجي، ٢٠١٠، تاريخ اليهود في العراق، جزيرة الورد.

[٨] محمد فوزي ضيف، ٢٠١٠، يهود الدول العربية فى إسرائيل: حياتهم في أعمال أدباءهم، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد ٢٤، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة.

[٩] اكموني، عزرائيل، ١٩٧٨، الشكل والمضمون، معجم المصطلحات الأدبية مكتبة العمال، المنولوج الداخلي

[١٠] المسيري، عبد الوهاب، ١٩٧٥، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة.

[١١] عمرو زكريا، ٢٠١٦، الزواج والطلاق في اسرائيل بين الشريعة والمدنية، المصرية للتسويق والنشر، القاهرة.

[١٢] شموش، امنون، ١٩٧٨، ميشيل عزرا سفرا وابناؤه، مسدا، رمت جن.

[١٣] العُكش، د. سعيد عبد السلام، ٢٠٢١، الزواج المختلط وإشكالية الهوية في إسرائيل، جزيرة الورد، القاهرة.

[١٤] محمد شكري سرور، ١٩٩٧، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، بيروت،